خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/١٠/١١

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

في هذه الأيام لا يزال الحديث جاريا عن غزوة الأحزاب. كنتُ قد بينت أن الكفار أخلوا ساحة المعركة جراء الريح العاصفة والسيول. وقد فصّل التاريخ وقائع ما بعد ذهاب الكفار من الميدان بأن الله تعالى لما أجلى جنود الأحزاب قال رسول الله ﷺ: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا". أي أن قريشا لن تحاربنا بعد ذلك ولن تقدر على الخروج لمهاجمتنا. وهذا ما حدث تماما، إذ لم تجرؤ قريش بعد ذلك على شن الغارة على المسلمين حتى فُتحت مكة على يد النبي ﷺ.

باختصار، أصبح رسول الله ﷺ بالخندق ولم يوجد أحد من عساكر المشركين وقد هربوا، فأذن النبي ﷺ للمسلمين بالانصراف إلى منازلهم، فرجعوا إلى بيوتهم مسرورين.

يقال إن حصار الخندق دام عشرين يومًا، وقيل ثلاثة أسابيع، وقيل قرابة شهر.

واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق تسعة أفراد، وهُمْ: سعد بن معاذ، الذي جُرِح في هذه الغزوة وتوفي بهذا الجرح بعد بضعة أيام، وأنس بن أوس، وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غَنَمة بن عدي، وكعب بن زيد، وقيس بن زيد بن عامر، وعبد الله بن أبي خالد، وأبو سِنان بن صيفي بن صخر.

بالإضافة إلى صحابيين استُشهدا قبل بدء هذه الغزوة في الواقع، وقد ذكرت قصتهما في إحدى الخطب. خرجا لاستطلاع أخبار جيش أبي سفيان ونالا الشهادة هنالك، وهما سليط وسفيان بن عوف الأسلمي. وهكذا كان العدد الإجمالي ١١ شهيدا.

وقُتل من المشركين ثلاثة وهم: عمرو بن عبد وَدّ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعثمان بن منبه، وقد مات هذا بمكة من رمية رُمِيَها يوم الخندق يوم هجم الكفار هجمة مكثفة بالسهام فرد عليهم المسلمون بالسهام.

كانت لغزوة الأحزاب نهاية إعجازية كما سبق بيانها، وقد كتب حضرة مرزا بشير أحمد بهذا الصدد: انسحب جيش الكفار من المدينة خائبًا بعد حصارهم للمدينة لعشرين يوما على الأقل. وعاد بنو قريظة الذين خرجوا لنصرتهم إلى حصنهم. لم تكن خسائر المسلمين في الأرواح كبيرة في هذه المعركة، حيث استشهد منهم خمسة أو ستة فقط، لكن أصيب فيها سعد بن معاذ، الزعيم الأعظم لقبيلة الأوس، بجرح بليغ مات به في النهاية. كانت خسارة لا تعوض للمسلمين. وقُتل من جيش الكفار ثلاثة رجال فقط، لكن قريشًا تلقت في هذه الحرب نكسة جعلتها لا تجرؤ بعدها أبدًا على الخروج بهذه الطريقة ضد المسلمين أو مهاجمة المدينة، وتحققت نبوءة النبي ﷺ حرفيًا.

بعد رحيل جيش الكفار أمر النبي ﷺ الصحابة بالعودة، فقاموا من ساحة القتال ودخلوا المدينة. كانت غزوة الخندق أو الأحزاب، التي انتهت بشكل غير متوقع ومفاجئ، حربًا خطيرة للغاية. لم يحل بالمسلمين مصيبة مفاجئة أشد منها حتى ذلك الوقت، و لم يواجهوا أي مصيبة بهذا الحجم بعدها في حياة النبي ﷺ. كانت زلزالًا خطيرًا هز بناء الإسلام من جذوره، وبرؤية مشاهدها المرعبة زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وظن الضعفاء من المسلمين أنها النهاية. واستمرت صدمات هذا الزلزال المروع تضرب المسلمين لمدة شهر تقريبًا، وظلت الآلاف من الوحوش الضارية تحاصر منازلهم وتجعل حياتهم مريرة. وضاعفت خيانة بني قريظة مرارة هذه المحنة. وكان وراء هذه الفتنة أولئك اليهود الناكرون للجميل من بني النضير الذين أذن لهم النبي ﷺ بالخروج من المدينة بأمان. كان تحريض هؤلاء الزعماء اليهود هو ما جعل جميع القبائل الكبيرة في صحراء العرب تجتمع في المدينة، نشوانين بعداوة الإسلام، لسحق المسلمين كلية.

وكان من المؤكد تمامًا أنه لو تمكن هؤلاء الوحوش من دخول المدينة عندها، لما بقي مسلم واحد على قيد الحياة، ولما نجا عرض أي امرأة مسلمة عفيفة طاهرة من هجماتهم الدنسة. لكن فضل الله ويده الغيبية القادرة هي التي جعلت هذا الجيش العرمرم يعود خائبًا خاسرا. ورجع المسلمون إلى منازلهم يتنفسون الصعداء بأمان وطمأنينة، حامدين وشاكرين لله تعالى.

كان خطر بني قريظة لا يزال قائما كما هو. لقد تحصنوا في حصونهم بأمان بعد غدرهم الخطير بالمسلمين، ظانين أنه لن يقدر أحد الآن على أن يضرهم شيئا. ولكن كان لا بد من القضاء على فتنتهم في كل حال، لأنهم ببقائهم في المدينة كانوا بمترلة العدو في ثياب الصديق بالنسبة للمسلمين، وكانت تجربة بني النضير تؤكد أن طرد هذا العدو المتخفي من بيته كان خطيرا بقدر خطورة بقائه فيه.

على كل حال، وللقضاء على هذه الفتنة، اتُّخذَ ضد بني قريظة أيضا إجراءٌ سُمِّيَ غزوة بني قريظة، وذلك في شهر ذي القعدة العام الخامس الهجري، الموافق لشهر مارس أو إبريل عام ٦٢٧ الميلادي. وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ

صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

أما بنو قريظة فتعريفهم الموجز هو: بنو قريظة قبيلة يهودية، وهم أولاد رجل اسمه قريظة. نزل أولاده هؤلاء بقلعة حصينة بالقرب من المدينة على بضعة أميال، فنُسبوا إليه. كان قريظة والنضير أخوينِ من أولاد هارون ﷺ، سمي أولاد أحدهما بني قريظة وأولاد الآخر بني النضير.

خلفية غزوة بني قريظة ذُكرت في الخطب السابقة وفي بيان غزوة الخندق أيضًا، أن بني قريظة نقضوا عهدهم أثناء المعركة وساعدوا قريشًا ضد المسلمين، ونبذوا المعاهدات التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ. عندما عاد رسول الله ﷺ بعد الانتهاء من غزوة الخندق، وضع هو والصحابة أسلحتهم. دخل النبي ﷺ بيت السيدة عائشة، وطلب ماءً وبدأ يغسل رأسه. في رواية أخرى، اغتسل وطلب عطرًا وصلى الظهر.

تقول السيدة عائشة: سلّم علينا رجل ونحن في البيت. ثم نادى، فذهب رسول الله ﷺ إليه بسرعة وأنا أنظر من بين الباب. رأيت دحية الكلبي وهو ينفض الغبار عن وجهه وكان يرتدي عمامة. كان رسول الله ﷺ واقفًا مستندًا على رقبة الدابة. قال الرجل: "يا رسول الله، لقد وضعتم السلاح. والله ما وضعنا السلاح". وفي رواية أخرى: "منذ أن واجهتم العدو، لم تضع الملائكة السلاح، ونحن ما زلنا نعود من مطاردة الأحزاب". قال إن الملائكة لم تضع السلاح حتى وصلنا إلى حمراء الأسد وهزمهم الله. الآن توجهوا إلى هناك. فسأل النبي ﷺ: "إلى أين؟" فأشار إلى بني قريظة.

تقول عائشة: عدت إلى الداخل. عندما عاد رسول الله ﷺ ، سألته: "يا رسول الله، من كان ذلك الرجل الذي كنت تتحدث معه؟" فقال: "هل رأيتِه؟" قلت: نعم. فقال: "بمن شبهتِه؟" فقلت: بدحية الكلبي. فقال ﷺ: "ذلك كان جبريل". هنا اتضح أن الملائكة لم تضع السلاح. كان جبريل يخبرني أن أذهب إلى بني قريظة.

أعلن رسول الله ﷺ على الفور أن يتوجهوا إلى بني قريظة وأن يصلوا العصر هناك. فور سماع الإعلان، خرج الصحابة بسرعة. كان مستوى طاعة الصحابة وامتثالهم لأوامر النبي ﷺ عاليًا جدًا. عندما حان وقت صلاة العصر في الطريق وكاد وقت الصلاة يفوت، فكر بعض الصحابة أنه يجب الصلاة قبل فوات الوقت فصلوا. ووفقًا لفتح الباري شرح صحيح البخاري، قال البعض الآخر أنه بما أن النبي ﷺ قال أن نصلي العصر في بني قريظة، فسنصلي هناك حتى لو فات الوقت. وفقًا للروايات، وصل هؤلاء بعد غروب الشمس وصلوا العصر هناك. لم يقل رسول الله ﷺ شيئًا للمجموعتين – لا للذين صلوا في الطريق خوفًا من فوات الوقت، ولا للذين صلوا في بني قريظة بعد غروب الشمس. دعا رسول الله ﷺ عليًّا وأعطاه راية الجيش السوداء المسماة "العقاب".

هذه التفاصيل مذكورة في صحيح البخاري وبعض الكتب التاريخية. أولًا، أرسل رسول الله ﷺ عليًا مع مجموعة كطليعة، ثم تبعهم بنفسه. كتب حضرة مرزا بشير أحمد في هذا الصدد:

عندما عاد النبي ﷺ إلى المدينة بعد الانتهاء من غزوة الخندق، وبالكاد كان قد خلع سلاحه واغتسل، أُخبر في رؤيا من الله أنه لم يكن ينبغي له أن يضع السلاح حتى يفصل في خيانة وتمرد بني قريظة. ثم أُمر بالتوجه فورًا نحو بني قريظة. فأعلن بين الصحابة أن يتوجه الجميع نحو حصون بني قريظة وأن يصلوا العصر هناك، وأرسل عليًّا على الفور مع كتيبة من الصحابة.

كما ذُكر سابقًا من رواية عائشة رضي الله عنها، كان هذا مشهدًا كشفيًّا كما كتب حضرة مرزا بشير أحمد أيضًا، ومن الممكن أن تكون عائشة قد رأت هذا المشهد أيضًا في حالة كشف، ويمكن أن يحدث ذلك.

ورد ذكر التوجّه نحو بني قريظة كالتالي: أمّر رسول الله ﷺ ابنَ أم مكتوم على المدينة وخرج نحو بني قريظة يوم الأربعاء وبقي سبعة أيام من ذي القعدة. ارتدى رسول الله ﷺ السلاح والدرع والخوذة، وأخذ رمحًا بيده، وعلق درعًا على رقبته، وركب حصانه النحيف. كان لدى المسلمين ستة وثلاثون حصانًا، وخرج رسول الله ﷺ مع صحابته. يقول ابن سعد أنه كان معه ثلاثة آلاف رجل.

كما ذُكر سابقًا، كان علي قد وصل بالفعل إلى بني قريظة مع مجموعة من المهاجرين والأنصار. يقول أبو قتادة: وصلنا إلى بني قريظة وغرس عليٌّ الراية أسفل الحصن. فعندما رأونا، تأكدوا من الحرب. ثم أغلقوا على أنفسهم في حصونهم وبدأوا يشتمون رسول الله ﷺ وزوجاته. يقول أبو قتادة: بقينا صامتين و لم نرد على شتائمهم وقلنا إن السيف سيحكم بيننا الآن.

وصل رسول الله ﷺ أيضًا إلى بني قريظة وتوقف عند بئر أُنّا في سفح بني قريظة بالقرب من حصنهم. تُسمى أيضًا بئر أَنَّا، وهي إحدى آبار بني قريظة.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد تفصيله في سيرة خاتم النبيين كالتالي:

عندما وصل سيدنا علي رضي الله عنه إلى هناك، سبّ بنو قريظة- الذين انضم إليهم حيي بن أخطب، الزعيم الأعلى لبني النضير ومؤسس الفتنة، وفقًا لوعده بعد غزوة الخندق- النبيَّ ﷺ علنا وتحدثوا بكلام بذيء للغاية عن أزواجه المطهرات بطريقة وقحة وخسيسة للغاية، بدلاً من أن يعبروا عن ندمهم على خيانتهم وتمردهم ويطلبوا العفو والرحم.

بعد فترة وجيزة من مغادرة سيدنا علي رضي الله عنه وكتيبته، خرج النبي ﷺ أيضًا من المدينة مسلحًا. كان ﷺ يركب حصانًا وكانت معه جماعة كبيرة من الصحابة رضي الله عنهم. عندما اقترب من حصون بني قريظة، قال له علي رضي الله عنه الذي كان قد رجع قليلاً لاستقباله: يا رسول الله، لا أرى داعيا لتتقدم بنفسك، بل سنكون كافين بإذن الله. فهِم النبي ﷺ الأمرَ وسأل: هل تحدث بنو قريظة عني بسوء؟ فلما رأى ﷺ أن سيدنا

علي ﷺ يمنعه من التقدم قال: لعلهم قالوا بعض الكلمات السيئة. أجاب علي ﷺ: نعم، يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: لا بأس، هيا، فقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

فتقدم النبي ﷺ ونزل قرب إحدى آبار بني قريظة. وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: لا داعي للقلق، ليس لديهم الجرأة على أن يتكلموا بكلام سيئ أمامي. فتقدم ﷺ بكل هدوء ووقار.

وقد ذُكر الطعام أيضا في وقائع هذه الغزوة، حيث اجتمع جميع الصحابة عند رسول الله ﷺ إلى وقت العشاء، وأرسل سعد بن عبادة جملاً محملاً بالتمر للنبي ﷺ والمسلمين. في ذلك اليوم، قال رسول الله ﷺ: ما أطيب التمر طعاما.

وجاء في تفاصيل محاصرة المسلمين لبني قريظة أن رسول الله ﷺ تقدم وقت السحور ووضع كتيبة الرماة في المقدمة. أحاط المسلمون بحصون اليهود ورموهم بالسهام وقذفوهم بالحجارة. كان اليهود أيضًا يطلقون السهام من حصونهم حتى حلّ المساء. ثم قضوا الليل حول الحصون وكان المسلمون يهاجمون اليهود بالتناوب. ظل رسول الله ﷺ يأمر بإطلاق السهام على اليهود حتى أيقنوا بالهلاك وتوقفوا عن إطلاق السهام على المسلمين وقالوا: أطلقونا وسنتفاوض معكم. فقال رسول الله ﷺ: حسنا.

أرسلوا نباش بن قيس إلى النبي ﷺ، فقال لرسول الله ﷺ أن يسمح لهم بالمغادرة كما غادر بنو النضير، وأن يأخذ الأموال والأسلحة ويعفو عن دمائهم، وسنخرج من مدينتك مع نسائنا وأطفالنا. (هذا ما عرضه اليهود) وأضاف: وسيكون لنا من الأموال ما يمكن أن يحمله جملُنا. لكن رسول الله ﷺ رفض هذا العرض. ثم قال نباش: لسنا بحاجة إلى الأموال التي تحملها جمالنا. رفض رسول الله ﷺ وقال إنه يجب عليهم العمل بحُكمه ﷺ، لكنه رفض ذلك وعاد إلى قومه.

بعد ذلك تشاور زعماء بني قريظة فيما بينهم. عندما عاد نباش إلى قومه وأخبرهم بكل ما حدث وطالت المحاصرة، خاطب كعب بن أسد، زعيم بني قريظة، قومه قائلاً: والله لقد نزل بكم بلاء ترونه. وإني عارض عليكم ثلاثة أمور فاقبلوا ما شئتم منها. قالوا: وما هي؟ قال كعب بن أسد: نطيع محمدا (ﷺ) ونصدّقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسَل، وأنه هو الذي تقرؤون ذكره في كتبكم، وبإيمانكم به تأمن دماؤكم وأموالكم ونساؤكم. فوالله إنكم لتعلمون أن محمدا (ﷺ) نبي مرسَل، ولم يمنعنا من الانضمام إليه إلا أنه من العرب وليس من بني إسرائيل. فحيثما كان فإن الله قد جعله نبيًا. (أي أيا كان وضعه، فقد جعله الله نبيًا وهذا واضح تماما). وقال: كنت أكره نقض العهد ولكن هذه المحنة والابتلاء من حيي بن أخطب. (وكان جالسًا بجواره).

ثم قال كعب: أتذكرون ما قاله لكم ابن جواس (وهو عالم يهودي قديم) عندما جاء إليكم؟ قال: تركت أرض الخمر والخل والتمر (أي أرض بيت المقدس) وجئت إلى أرض الماء والتمر والشعير. سألوه: لماذا؟ فأجاب كعب بن أسد أنه قال: سيظهر نبي من هذه البلدة، وإن كنت حيًا حينها فسأتبعه وأنصره.

لا يخدعنّكم أحدٌ بشأنه. أي يجب أن تؤمنوا به ولا ترفضوه. (أي اتبعوه وكونوا أنصاره وأصدقاءه) لقد آمنت بالكتابين، الأول والأخير – أي الكتاب الذي نزل على النبي محمد ﷺ أيضًا – وأبلغوه سلامي وقولوا له إنني صدّقته. ثم قال كعب: فهيا نتّبعه ونصدّقه. عند سماع هذا، قال أهل بني قريظة: لن نبتعد عن حكم التوراة، كتاب موسى، ولن نستبدله بأي كتاب آخر أبدًا. فقال كعب: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد (ﷺ)، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ!

وهكذا رفضوا مقترحات كعب الثلاثة ولم يقبلوا أي واحد منها.

ثم بعد كعب قال يهودي آخر وهو عمرو بن سُعْدَى: يا معشر يهود، إنكم قد حالفتم محمداً على ما حالفتموه عليه، فنقضتم عهده الذي كان بينكم وبينه، فلم أدخل فيه، ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدري يقبلها أم لا. قالوا: فنحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه، لن يتأتى ذلك منّا، القتل خير من ذلك، فقال عمرو: فإني بريء منكم، ثم خرج في تلك الليلة من حصنهم، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة، فقال محمد: من هذا؟ عمرو بن سعدى، قال محمد: مُرَّ، اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، وخلى سبيله، وخرج حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ فبات به حتى أصبح غدا فلم يدر أين هو حتى الساعة، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ. فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه.

وهكذا، بعد سماع كلمات كعب هذه، نزل ثلاثة أشخاص آخرين من الحصن في تلك الليلة نفسها، واعتنقوا الإسلام، وبالتالي أنقذوا نفوسهم وعائلاتهم وأموالهم.

ثم ذُكرت واقعة أبي لبابة، وقد ورد بهذا الخصوص أنه لما شدّد النبي ﷺ على حصون اليهود وضيّق عليهم الحصار بعثوا إلى النبي ﷺ ليلة السبت أَنْ ابْعَثْ إلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا -وكان ومن وجهاء الأوس حلفاء بني قريظة- فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَيْهِمْ فَلَمّا رَأَوْهُ قَامَ إلَيْهِ الرّجَالُ وَجَهَشَ إلَيْهِ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقّ لَهُمْ، وَقَالَ لَهُ كعب بن أسد الذي دبّر هذه المكيدة: إنا قد اخترناك على غيرك ، إن محمدا قد أبى إلا أن نتزل على حكمه أفترى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِهِ؟ قَالَ نَعَمْ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى حَلْقِهِ إنّهُ الذّبْحُ (ومرّر يده على رقبته). قَالَ أَبُو لُبَابَةَ فَوَاللهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتّى عَرَفْت أَنّي قَدْ خُنْت اللّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فندمت على أنني أشرت هكذا،

واسترجعت، فترلت وإن لحيتي لمبتلة من الدموع، والناس ينتظرون رجوعي إليهم حتى أخذت من وراء الحصن طريقا أخرى، حتى جئت إلى المسجد، ولم آت رسول الله ﷺ فارتبطت بأحد الأعمدة عقاباً لي، وقلت لا أبرح من مكاني حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت، وعاهدت الله تعالى بألا أطأ أرض بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله تعالى ورسوله ﷺ فيه أبدا.

وبلغ رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعت، فقال: دعوه حتى يحدث الله تعالى فيه ما شاء، لو كان جاءني استغفرت له، فإذا لم يأتني وذهب، فدعوه.

قال أبو لبابة فكنت في أمر عظيم، قضيت عدة ليال لا آكل فيهن ولا أشرب، وقلت: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا، أو يتوب الله علي. وأذكر رؤيا رأيتها في النوم ونحن محاصرون بني قريظة. كأني في حمأة آسنة، فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها، ثم أرى نهرا جاريا فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد ريحا طيبة، فاستعبرتها أبا بكر فقال: لتدخلن في أمر تغتم له، ثم يفرج عنك، فكنت أذكر قول أبي بكر وأنا مرتبط، فأرجو أن يترل الله تعالى توبتي. قال: فلم أزل كذلك حتى ما أسمع الصوت من الجهد، بينما كنت مرتبطا بالعمود، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلي. قال ابن هشام أن سيدنا أبا لبابة بقي مربوطاً لست ليالٍ حتى أنزل الله تعالى آية عن توبته: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فهذه الآية عن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وقت السحر. وكان في بيت أم سلمة. تقول أم سلمة: رأيت رسول الله ﷺ يتبسم وقت السحر. فقلت له: يا رسول الله، أدام الله ابتسامتك، لماذا تبتسم؟ فقال: "بشرى لأبي لبابة". فقلت: يا رسول الله، هل أبشره؟ فقال: "نعم، إن شئت". فوقفتْ على باب حجرها وقالت: "يا أبا لبابة، أبشرْ فقد تقبل الله توبتك."

ذهب الناس لفك وثاقه، لكنه قال: لا، بل سيفك وثاقي رسول الله ﷺ. وقال: أنا الآن مربوط، وإذا كان وثاقي سيفكّ فسيفعل ذلك رسول الله ﷺحصرا. فلما جاء رسول الله ﷺ لصلاة الفجر، فك وثاقه بيده المباركة.

قال أبو لبابة: يا رسول الله، من مقتضى توبتي أن أهجر ديار قومي التي ارتكبت فيها الذنب، وأن أتصدق بكل مالي في سبيل الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: يكفيك الثلث يا أبا لبابة.

وليكن معلوما أن هذه التفاصيل المذكورة عن أبي لبابة لم تردْ في الصحاح الستة. ومن الممكن أن تكون إشارة أبي لبابة للناس بالقتل نتيجة تفكيره الخاص، لكنه على أي حال، مذكور في كتب التاريخ. وقد ذكر تفاصيل هذه الواقعة حضرةُ مرزا بشير أحمد ؓ أيضاً، فقال: عندما ضاق بنو قريظة ذرعاً بشدة الحصار، اقترحوا فيما بينهم استدعاء مسلم له علاقات معهم إلى قلعتهم ظنًّا منهم أنه سينطلي عليه خداعُهم بسبب بساطته، ليحاولوا معرفة نية النبي ﷺ تجاههم حتى يتمكنوا من تحديد خطة عملهم

المستقبلية على ضوء ذلك. فأرسلوا رسولاً إلى النبي ﷺ يطلبون إرسال أبي لبابة بن المنذر الأنصاري إلى قلعتهم ليتشاوروا معه. فأذن النبي ﷺ لأبي لبابة فذهب إلى قلعتهم.

وكان زعماء بني قريظة قد خططوا أنه بمجرد دخول أبي لبابة القلعة، ستتجمع كل النساء والأطفال اليهود حوله وهم يبكون ويصرخون، محاولين التأثير على قلبه بمصيبتهم ومعاناتهم. فنجحت هذه الخطة مع أبي لبابة، فوقع فريسةً لمكرهم تأثرا لمصيبتهم فور دخوله القلعة. وعندما قال له بنو قريظة: يا أبا لبابة، إنك ترى ما ألمت بنا من مصيبة، أترى أن نترل من قلاعنا على حكم محمد؟ فأجاب أبو لبابة تلقائياً: "نعم"، وأشار بيده إلى حلقه مشيراً إلى أن النبي ﷺ سيأمر بقتلهم. مع أن ذلك كان خطأً تماماً، إذ لم يكن النبي ﷺ قد أبدى أي نية من هذا القبيل مطلقا، لكن أبا لبابة تأثر بمظهر معاناتهم حتى أن فكره انجرف مع تيار الآلام والمصائب و لم يستطع الوقوف دون فكرة الموت.

وهذا التعاطف الخاطئ من أبي لبابة، الذي ندم عليه لاحقاً لدرجة أنه ذهب إلى المسجد وربط نفسه بعمود فيه حتى عفا عنه النبي ﷺ وحله بنفسه، صار سبباً لدمار بني قريظة. إذ كانوا قد أصروا على عدم النزول على حكم محمد ﷺ.

على أي حال، هذه التفاصيل مستمرة إن شاء الله في المستقبل. الآن أود أن أقول إن هناك محاولات لتضييق الأرض على الأحمديين في باكستان أكثر فأكثر هذه الأيام، فعليهم أن يدعوا لأنفسهم أيضًا، ويسعوا أكثر من قبل لنيل رضا الله تعالى، لأن الأوضاع كما قلت تزداد سوءاً بانتظام. نسأل الله تعالى فضله ورحمته لهم. وكذلك على الأحمديين الباكستانيين المقيمين في العالم، أن يدعوا لإخوانهم في باكستان بوجه خاص أن يخلصهم من المصاعب. كذلك ادعوا للأحمديين في بنجلاديش أيضا، وليدعوا هم أيضاً لأنفسهم. حماهم الله من كل شر. فالأحمديون هناك أيضاً يواجهون صعوبات كثيرة.

اُدعوا الله ﷻ للأحمديين في الجزائر أيضا أن يحميهم من كل شر. فهم أيضاً يتعرضون للغرامات والاعتقالات. نسأل الله تعالى أن يثبِّت إيمانهم.

الأحمديون في السودان أيضاً يعيشون أوضاعا صعبة، جراء ظروف الحرب هناك، فادعوا لهم أيضا. المسلمون في كل مكان، يعانون من مصاعب على أيدي إخوانهم المسلمين، وهذا هو السبب في أن غير المسلمين المعادين للإسلام يحاولون بجرأة إلحاق الضرر بالمسلمين. فأكثروا الدعاء. إن الله تعالى قادر على منْع أيدي الحكومة الإسرائيلية والحكومة الأمريكية والقوى الكبرى. فالقوة كلها بيده، ولكن من أجل ذلك يجب على المسلمين أيضاً أن يجعلوا أعمالهم وفقاً لرضا الله تعالى، وأن يصبحوا نموذجاً للتآخي. يجب إنهاء الخلافات الداخلية وعندها فقط سيتحقق وعد الله تعالى بالنصرة، وبدون ذلك لا يمكن أن يحدث شيء، لكننا لا نرى ذلك في أي مكان. يجب على المسلمين أن يعيشوا كمؤمنين حقيقيين. وفقنا الله ﷻ نحن وسائر المسلمين لذلك.